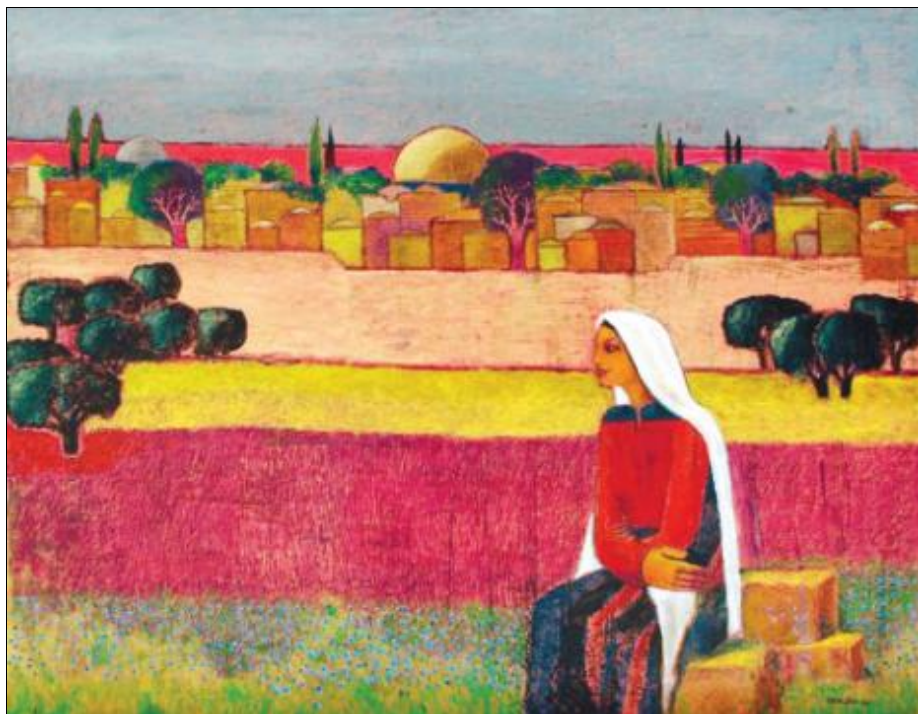


## نبيل عناني: زيتون وأيقونات فلسطينية



«عين على القدس» (أكريليك على كانفاس — 120 × 150 سنتم — 2012)

يواصل الفنان المخضرم العمل على مفردات الهوية والانتماء في لوحات تعكس موقفاً سياسياً مباشراً. معرضه البيروتي «روح الأرض» يحتفي بمشاهدات الطبيعة والإنسان الفلسطيني، لكن ذلك لا يُفسد مناخ لوحاته المكتفية بالخفوت والأسى

### حسين بن حمزة

لا تخطو أعمال نبيل عناني (1943) خارج مساحة فلسطين وآلامها وتاريخها وذاكرتها. لقد سعى الفنان الفلسطيني منذ بداياته إلى إنجاز ترجمات تشكيلية توازي تغريبته الذاتية التي تشبه تغريبه شعبه وأرضه. هناك نوع من القدرية الممزوجة بالخيارات الفنية، قدرية يصعب على الفلسطيني أن ينجو منها. قد تُغيّر المهارات والتقنيات في جماليات وانطباعات الموضوع

الفلسطيني، لكن هناك صعوبة في أن يتوقف هذا الموضوع عن إرسال إشارات واضحة ومباشرة إلى المتلقي. معرضه البيروتي الأول «روح الأرض» الذي افتتح أخيراً في غاليري Art on 56th، لا يرسل إشارات فقط، إنه الإشارات ذاتها تقريباً.

يضم المعرض 27 لوحة بقياسات مختلفة، لكنها تبدو مثل لوحة ضخمة موزعة على مساحات منفصلة. العنوان نفسه يختزل روحية المعرض القائمة على التفاصيل والمشهديات المستلّة من الذاكرة والهوية والحياة الفلسطينية اليومية. مشهديات وتفاصيل سبق أن رأيناها في تجارب البوستر الفلسطيني، وفي صور النضال اليومي الفلسطيني ضد ممارسات الاحتلال الإسرائيلي، وفي ثقافة الفولكلور والأشغال والحرف اليدوية. هذا فن فلسطيني نعرفه، نقول لأنفسنا ونحن نتجول في المعرض الذي ينقل إلينا عدوى الفن المباشر، ويدعونا إلى عدم التشدد في طلب ما هو تجريبي وجديد. التجريب موجود في بعض اللوحات، لكنه لا يتعد عن الصورة الشاملة للمعرض، ويقي الفنان نفسه داخل حساسيته وتقنياته، ولا يسمح له باللعب بعيداً عن محيط تجربته وجوارها القريب. هناك تركيز على شجر الزيتون في أغلب الأعمال المعروضة. حقول الزيتون التي لطالما جرفتها الآليات الإسرائيلية لتأمين مساحات شاعرة لمستوطناتها وطرقها الالتفافية تتحول هنا إلى مادة تشكيلية مليئة بالرموز والإحالات. حقول الزيتون مرسومة أمام البيوت التي تصبح خلفية شعرية لشخص وحيد في مقدمة اللوحة. في لوحات أخرى، يستدعي الشخص الوحيد أشباهه ويصنع حشداً يشبه حقل الزيتون. يُدكّرنا شكل الحشد بصور قديمة لأرتال النازحين واللجئين في سنوات النكبة والهزيمة الحزبانية، بينما تصنع القامات المتجاورة والوجوه الممحوّة الملامح نوعاً من الاحتجاج والتظاهر. هناك غضبٌ وموقف سياسي ونضالي في شغل الفنان الفلسطيني المخضرم، لكنه غضبٌ لا يُفسد مناخ اللوحات المكتفية بنوع من الأسى الشفاف، وبعناصر ذات هوية فلسطينية واضحة، إلا أنها تخاطب المتلقي بأصوات خافتة. الخفوت حاضر بتأويلات لونية مماثلة نراها في الرؤوس المائلة على أكتافها كما في لوحة «اقتلاع»، وفي الشكل الشاقولي والتثليثي لما نطن أنهنّ جدّة وابنة وحفيدة في لوحة «جذور»، وفي الرّحابة البصرية التي تطلّ علينا من لوحات تصوّر الطبيعة والريف الفلسطيني كما في لوحات «دير عمار» و«حقول بيت لحم» و«عين عريق» و«جنوب عين قنية». الأسماء الحقيقية تعزّز علاقة اللوحات بالموضوع الفلسطيني، وتكشف بدهاء انتماء الفنان نفسه إلى أرضه وشعبه. بدهاء تُوجّل النظر في تجربات خطيرة بدلاً من هذا الفن الذي يمكن أن نصفه بـ «الأمّن»، لكن ذلك لا ينجح في إزالة التواطؤ الذي نحافظ عليه مع ما نراه. هناك بعض التجريب الخفيف مثل تقسيم اللوحة إلى خانات ومربعات أو إنجاز الموضوع المرسوم في طبقات متتالية، لكن العناصر والجزئيات التي تؤلف ذلك لا تتغير كثيراً. الفنان نفسه لا يريد أن يغير هذه الجزئيات التي تغدّي لوحته. إنها الاحتياطي السياسي والاجتماعي والفني لتجربته كلها، وما يُخشى عليه أن يصير كليشيهات مكرورة لصورة الفلسطيني وصورة فلسطين، يتحول إلى أشكال أيقونية ورمزية تتصل بالذاكرة والهوية، وتؤرّخ التراجيديا المستمرة لشعب موزع بين جرائم الاحتلال وجروح الشتات.

«روح الأرض»: حتى 9 تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل – «غاليري Art on 56th» (الجميزة، بيروت) – للاستعلام: 01/570331

يمكنكم متابعة حسين بن حمزة عبر تويتر (@hbinhamza) | <https://twitter.com/hbinhamza>

(<https://twitter.com/hbinhamza>)

## في خدمة القضية

تنتمي لوحات نبيل عناني إلى تقاليد المحترف الفلسطيني التقليدي، وتتصل مع تجارب رائدة ولاحقة في هذا السياق. الفنان الذي تخرّج في كلية الفنون الجميلة في الإسكندرية عام 1969، وأقام معرضه الأول في القدس عام 1972، وشارك بعد ذلك في معارض فردية وجماعية في

فلسطين وخارجها، اشتغل في «خدمة» القضية وسعى إلى أن تكون أعماله ناطقة باسم شعبه وأرضه. ولذلك، نجد لديه تأثيرات قوية من تجربة الراحل اسماعيل شموط (1930 - 2006)، وتأثيرات أقل من الراحل الآخر مصطفى الحلاج (1938 - 2002) الذي مزج الموضوع الفلسطيني مع مناخات وأشكال أسطورية، بينما تغيب عن أعماله الطموحات المستجدة للأجيال التالية.

يمكنكم متابعة الكاتب عبر تويتر | <https://twitter.com/hbinhamza> (@hbinhamza)

ادب وفنون

العدد ٢١٤٠ الأربعاء ٣٠ تشرين الأول ٢٠١٣

### مقالات أخرى لحسين بن حمزة:

[شيخوخة الصف الثاني \(node/258459\)](#)

[كارلا سالم: الإقامة بين حرفين \(node/256617\)](#)

[أحمد بيضون: أنا كاتبٌ «ضلّ» طريقه إلى](#)

[التاريخ والسياسة \(node/256204\)](#)

[هدى بعلبكي تتصالح مع لوحاتها](#)

[\(node/255753/\)](#)

[السلالة الماغوطية \(node/255291/\)](#)

---

ابتداءً من تاريخ 30 تموز 2015، تم إيقاف التعليقات على المقالات مؤقتاً نظراً لبعض الصعوبات والتعديلات التقنية، يمكنكم التعليق وإبداء الرأي والتواصل مع الكتاب عبر صفحتنا الالكترونية على فيسبوك (<https://www.facebook.com/AlakhbarNews>) (<https://www.facebook.com/AlakhbarNews>)، أو عبر البريد الالكتروني: ([comments@al-akhbar.com](mailto:comments@al-akhbar.com)) (<mailto:comments@al-akhbar.com>)